peper

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ

ر

لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالدي وللمسلمين

الجلد

(١-٢)

طبع بإشراف مرة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

provora

gyorgy

646

átala

blato

EXTHERSTA

Gyergterateroverygyerover

16

tootCAMCOMCOMCOM#

(ح) مؤسسة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، ١٤٢٨هـ فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
لنا. النشر لسمين، محمد بن صلع
لحكام من القران والسلة / محمد بن صالح العثيمين - الرياض - ١٤٢٨هـ

ا مع
رسه: 6 - ٠ - ١٩١٨ - ١٩١٠ – ١٧٨ (مجرعة)
٢ - ٦ - ١٩١٨ - ٩٩١٠ – ١٧٨ (ج ١) ا- لمران

1- القران - لمكام
لبري: ٢٢٦.٢

١١٢٨/٨٠٢٠

رام الاباح: ١١٢٨/٨٠٠٠
رسه: ١ - ٠ - ١١١٨ - ١١١٠ - ١٢٨ بمرم)

جميع النور محفوظة ليمونت
إلا لمن أراد طبعه لتوزيه مجانا بدماجعة نوشته الشيخ صالح اليمين الخيرية
نات

(١) ١٧٨ - ١١١٠ - ١٩١٨ - ١٠٢

المملكة العربية السعودية
عنيزة .ص.ب : ١٩٢٩
مات : ٢١٤٢.٩ . ٩/٣١٤٢١.٧ / ١.

www.binothaimeen.com
info@binothaimeen.com

البريد الإلكتروني

موقعنا على الإنترنت :

الطبعة الثانية
1434 هـ - ٢٠١٣م

:

مدار الوطير للنشر
هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ ٥١ خطوط) فاكس : ٤٧٢٣٩٤١ ـ صب : ٣٣١٠ فرع السويدي : هاتف : 4167177 ـ
فاكس : ٤٢ ٦٧٣٧٧ المنطقة الغربة : ٥٠٤١٤٣١٩٨ . المنطقة الشرقية والرياض : ٦٨ ٠٥٠٣١٩٣٢
المنطقة الشمالية والقصيم : ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٤١٣٠٧٢٧ التوزيع الخيري :
٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤ - ٢٨٣١٤٥٣ التسويق والمعارض الخارجية : ٥.٦٤٩٥٦٢٥ .

Pop@dar-alwatan.com
www.madar-alwatan.com

Gyorgyeroverøyprøverøverovi

↓ Holdtb ↓ dtb ↓ dibidab ↓ atb ↓ ató

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٢)

أحكام القران الكري
لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالديه وللمسامين

المجلد

(١-٢)

طبع باشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح اليمين الخيرية

îGyeraye

د

ود

pre

kergyergyergyangyangyangyan
WW

2

prongye

ngr

.Abtd

تقديم

ي

تقديم
إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا، أما بعد:

فقد طبع من هذا الكتاب أوله عام ١٤١٥هـ من سورة الفاتحة وحتى
قوله تعالى: (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالبطل وتدلوا بها إلى الحكام ..... الآية [البقرة: ١٨٨]،

واعتنى بتلك الطبعة – مشكورا – الشيخ/ عبد الكريم بن صالح المقرن - جزاه الله خيرا -.

وقد رأى المؤلف - صاحب الفضيلة شيخنا محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله تعالى – أن يراجع الكتاب المطبوع قبل إعادة طبعه مرة أخرى، فشرع في ذلك غير أنه وافاه الأجل – رحمه الله تعالى – قبل أن يكمله، حيث بلغ في مراجعته قوله تعالى: (الذين إذا أصبتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » [البقرة: ١٥٦، ١٥٧].

وإنفاذا للقواعد والضوابط والتوجيهات التي قررها صاحب الفضيلة شيخنا محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله تعالى – لإخراج مؤلفاته عهدت مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية إلى الشيخ عبدالكريم بن

تقديم
صالح المقرن بإكمال العمل وإعداد باقي محتوى الأشرطة المسجلة المنتهية بقوله تعالى: (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله روف بالعباد » [آل عمران: 30] وتخريج الأحاديث الواردة، وعاونه في ذلك الشيخ خالد بن أمان الله الصاوي فجزاهما الله خيرا.

1

هذا وقد أدخلت التعديلات التي كتبها فضيلة الشيخ المؤلف رحمه الله تعالى في مراجعته، وتم توثيق باقي المادة العلمية على الأصول السمعية للأحاديث التي كان يلقيها – رحمه الله – على حلقات منتظمة، وتبثها إذاعة القرآن الكريم من المملكة العربية السعودية، فصدر - بعون الله تعالى وتوفيقه - كاملا في طبعته الأولى بمجلدين عام ١٤٢٥هـ . نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، موافقا لمرضاته، نافعا لعباده، وأن يجزي فضيلة شيخنا المؤلف عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ويسكنه فسيح جناته، إنه سميع قريب، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد الأولين والآخرين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللجنة العلمية
في مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية غرة محرم ١٤٢٨هـ

نبذة مختصرة عن
العلامة محمد بن صالح العثيمين
١٣٤٧ - ١٤٢١هـ

نسبه ومولده:
هو صاحب الفضيلة الشيخ العالم المحقق، الفقيه المفسّر، الورع الزاهد، محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن آل عثيمين من الوهبة من بني تميم.

ولد في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ في عنيزة ـ إحدى مدن القصيم ـ في المملكة العربية السعودية. نشأته العلمية

ألحقه والده ـ رحمه الله تعالى ـ ليتعلم القرآن الكريم عند جده من جهة أمه المعلم عبد الرحمن بن سليمان الدامغ ـ رحمه الله ـ، ثم تعلم الكتابة، وشيئا من الحساب، والنصوص الأدبية في مدرسة الأستاذ عبدالعزيز بن صالح الدامغ ـ حفظه الله ـ، وذلك قبل أن يلتحق بمدرسة المعلم علي بن عبدالله الشحيتان ـ رحمه الله ـ حيث حفظ القرآن الكريم عنده عن ظهر قلب ولما يتجاوز الحادية عشرة من عمره بعد. وبتوجيه من والده ـ رحمه الله ـ أقبل على طلب العلم الشرعي، وكان فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ يدرس العلوم الشرعية والعربية في الجامع الكبير بعنيزة، وقد رتب من طلبته الكبار؛ ومنهم الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع ـ رحمه الله ـ لتدريسر

نبذة مختصرة عن العلامة محمد بن صالح العثيمين
المبتدئين من الطلبة، فانضم الشيخ إلى حلقته حتى أدرك من العلم في التوحيد، والفقه، والنحو ما أدرك.

ثم جلس في حلقة شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، فدرس عليه في

التفسير، والحديث، والسيرة النبوية، والتوحيد، والفقه، والأصول، والفرائض، والنحو، وحفظ مختصرات المتون في هذه العلوم. ويعد فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله - هو شيخه الأول؛ إذ أخذ عنه العلم؛ معرفة وطريقة أكثر مما أخذ عن غيره، وتأثر بمنهجه وتأصيله، وطريقة تدريسه، واتّباعه للدليل. وعندما كان الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان - رحمه الله ـ قاضيًا في عنيزة قرأ عليه في علم الفرائض، كما قرأ على الشيخ عبدالرزاق عفيفي
ـ رحمه الله ـ في النحو والبلاغة أثناء وجوده مدرسا في تلك المدينة. ولما فتح المعهد العلمي في الرياض أشار عليه بعض إخوانه أن يلتحق به، فاستأذن شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ فأذن له، والتحق بالمعهد عامي ١٣٧٢ ـ ١٣٧٣ه
ولقد انتفع ـ خلال السنتين اللتين انتظم فيها في معهد الرياض العلمي ـ بالغلاء الذين كانوا يدرسون فيه حينذاك ومنهم: العلامة المفسّر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ الفقيه عبدالعزيز بن ناصر بن
رشيد، والشيخ المحدث عبد الرزاق الأفريقي ـ رحمهم الله تعالى -. وفي أثناء ذلك اتصل بساحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبدالله ابن باز ـ رحمه الله ـ، فقرأ عليه في المسجد من صحيح البخاري ومن رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وانتفع به في علم الحديث والنظر في آراء

نبذة مختصرة عن العلامة محمد بن صالح العثيمين
فقهاء المذاهب والمقارنة بينها، ويعد ساحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ هو شيخه الثاني في التحصيل والتأثر به.
ثم عاد إلى عنيزة عام 1374 هـ وصار يدرس على شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ويتابع دراسته انتسابا في كلية الشريعة، التي أصبحت جزءا من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حتى نال
الشهادة العالية.

٩

تدريسه
توسم فيه شيخه النجابة وسرعة التحصيل العلمي فشجعه على التدريس وهو ما زال طالبا في حلقته، فبدأ التدريس عام 1370هـ في الجامع الكبير بعنيزة.
ولما تخرج من المعهد العلمي في الرياض عين مدرسا في المعهد العلمي

بعنيزة عام 1374هـ.

وفي سنة 1376هـ توفي شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ فتولى بعده إمامة الجامع الكبير في عنيزة، وإمامة العيدين فيها، والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية التابعة للجامع؛ وهي التي أسسها شيخه ـ رحمه الله ـ عام ١٣٥٩ هـ.
ولما كثر الطلبة، وصارت المكتبة لا تكفيهم؛ بدأ فضيلة الشيخ ـ رحمه الله ـ يدرس في المسجد الجامع نفسه، واجتمع إليه الطلاب وتوافدوا من المملكة وغيرها حتى كانوا يبلغون المئات في بعض الدروس، وهؤلاء يدرسون دراسة تحصيل جاد، لا لمجرد الاستماع، وبقي على ذلك، إماما

نبذة مختصرة عن العلامة محمد بن صالح العثيمين

وخطيبا ومدرسًا، حتى وفاته ـ رحمه الله تعالى .. بقي الشيخ مدرسا في المعهد العلمي من عام 1374هـ إلى عام ١٣٩٨هـ عندما انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وظل أستاذا فيها حتى وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ.

وكان يدرس في المسجد الحرام والمسجد النبوي في مواسم الحج ورمضان والإجازات الصيفية منذ عام ١٤٠٢هـ ، حتى وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ.

وللشيخ ـ رحمه الله ـ أسلوب تعليمي فريد في جودته ونجاحه، فهو يناقش طلابه ويتقبل أسئلتهم، ويلقي الدروس والمحاضرات بهمة عالية ونفس مطمئنة واثقة، مبتهجا بنشره للعلم وتقريبه إلى الناس. آثاره العلمية

من
ظهرت جهوده العظيمة ـ رحمه الله تعالى ـ خلال أكثر من خمسين عاما العطاء والبذل في نشر العلم والتدريس والوعظ والإرشاد والتوجيه وإلقاء المحاضرات والدعوة إلى الله ـ سبحانه وتعالى .. ولقد اهتم بالتأليف وتحرير الفتاوى والأجوبة التي تميزت بالتأصيل العلمي الرصين، وصدرت له العشرات من الكتب والرسائل والمحاضرات والفتاوى والخطب واللقاءات والمقالات، وترك ثروة علمية كبيرة، كما صدر له آلاف الساعات الصوتية التي سجلت محاضراته وخطبه ولقاءاته وبرامجه الإذاعية ودروسه العلمية في تفسير القرآن الكريم والشروحات المتميزة

نبذة مختصرة عن العلامة محمد بن صالح العثيمين

للحديث الشريف والسيرة النبوية والمتون والمنظومات في العلوم الشرعية والنحوية.

وإنفاذا للقواعد والضوابط والتوجيهات التي قررها فضيلته ـ رحمه الله تعالى ـ لنشر مؤلفاته، ورسائله، ودروسه، ومحاضراته، وخطبه، وفتاواه ولقاءاته، تقوم مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية - بعون الله وتوفيقه ـ بواجب وشرف المسؤولية لإخراج كافة آثاره العلمية والعناية بها.

وبناء على توجيهاته ـ رحمه الله تعالى ـ أنشئ له موقع خاص على شبكة المعلومات الدولية من أجل تعميم الفائدة المرجوة ـ بعون الله تعالى وتقديم جميع آثاره العلمية من المؤلفات والتسجيلات الصوتية .

أعماله وجهوده الأخرى:
إلى جانب تلك الجهود المثمرة في مجالات التدريس والتأليف والإمامة والخطابة والإفتاء والدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى ـ كان لفضيلة الشيخ أعمال كثيرة موفقة منها ما يلي:
* عضوا في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من عام ١٤٠٧ هـ إلى وفاته.

* عضوا في المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العامين الدراسيين ١٣٩٨ ـ ١٤٠٠هـ.

* عضوا في مجلس كلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية في القصيم ورئيسًا لقسم العقيدة فيها.

نبذة مختصرة عن العلامة محمد بن صالح العثيمين
* وفي آخر فترة تدريسه بالمعهد العلمي شارك في عضوية لجنة الخطط والمناهج للمعاهد العلمية، وألف عددا من الكتب المقررة بها. * عضوا في لجنة التوعية في موسم الحج من عام ١٣٩٢ هـ إلى وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ حيث كان يلقي دروسا ومحاضرات في مكة والمشاعر، ويفتي في المسائل والأحكام الشرعية.
* ترأس جمعية تحفيظ القرآن الكريم الخيرية في عنيزة من تأسيسها عام ١٤٠٥ هـ إلى وفاته.
* ألقى محاضرات عديدة داخل المملكة العربية السعودية على فئات متنوعة من الناس، كما ألقى محاضرات عبر الهاتف على تجمعات ومراكز إسلامية في جهات مختلفة من العالم.
* من علماء المملكة الكبار الذين يجيبون على أسئلة المستفسرين حول أحكام الدين وأصوله عقيدة وشريعة، وذلك عبر البرامج الإذاعية من

المملكة العربية السعودية وأشهرها برنامج «نور على الدرب». * نذر نفسه للإجابة على أسئلة السائلين مهاتفه ومكاتبة ومشافهة. * رتّب لقاءات علمية مجدولة، أسبوعية وشهرية وسنوية.

١٢

* شارك في العديد من المؤتمرات التي عقدت في المملكة العربية السعودية. * ولأنه يهتم بالسلوك التربوي والجانب الوعظي اعتنى بتوجيه الطلاب وإرشادهم إلى سلوك المنهج الجاد في طلب العلم وتحصيله، وعمل على استقطابهم والصبر على تعليمهم وتحمل أسئلتهم المتعددة، والاهتمام بأمورهم.

نبذة مختصرة عن العلامة محمد بن صالح العثيمين
* وللشيخ ـ رحمه الله ـ أعمال عديدة في ميادين الخير وأبواب البر ومجالات الإحسان إلى الناس، والسعي في حوائجهم، وإسداء النصيحة لهم بصدق وإخلاص.

١٣

مكانته العلمية
يعد فضيلة الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ من الراسخين في العلم الذين وهبهم الله ـ بمنه وكرمه ـ تأصيلا وملكة عظيمة في معرفة الدليل واتباعه ودقة النظر واستنباط الأحكام والفوائد من الكتاب والسنة، وسبر أغوار اللغة العربية معاني وإعرابا وبلاغة.
ولما تحلى به من صفات العلماء الجليلة وأخلاقهم الحميدة والجمع بين العلم والعمل أحبه الناس محبة عظيمة، وقدره الجميع كل التقدير، ورزقه الله القبول لديهم واطمأنوا لاختياراته الفقهية، وأقبلوا على دروسه وفتاواه وآثاره العلمية، ينهلون من معين علمه ويستفيدون من نصحه ومواعظه.

وقد منح جائزة الملك فيصل ـ رحمه الله ـ العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ، وجاء في الحيثيات التي أبدتها لجنة الاختيار لمنحه الجائزة ما يلي
أولًا: تحليه بأخلاق العلماء الفاضلة التي من أبرزها الورع، ورحابة الصدر، وقول الحق، والعمل لمصلحة المسلمين، والنصح لخاصتهم
وعامتهم.
ثانيا : انتفاع الكثيرين بعلمه؛ تدريسا وإفتاء وتأليفا.

نبذة مختصرة عن العلامة محمد بن صالح العثيمين

ثالثا
: إلقاؤه المحاضرات العامة النافعة في مختلف مناطق المملكة. رابعا : مشاركته المفيدة في مؤتمرات إسلامية كثيرة.
خامسا : اتباعه أسلوبا متميزا في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتقديمه مثلًا حيا لمنهج السلف الصالح؛ فكرا وسلوكا.
عقبه
له خمسة من البنين، وثلاث من البنات، وبنوه هم: عبد الله، وعبدالرحمن، وإبراهيم، وعبد العزيز، وعبد الرحيم . وفاته
تُوفي ـ رحمه الله ـ في مدينة جدة قبيل مغرب يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال عام ١٤٢١هـ، وصلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة عصر يوم الخميس، ثم شيعته تلك الآلاف من المصلين والحشود العظيمة في مشاهد مؤثرة، ودفن في مكة المكرمة. وبعد صلاة الجمعة من اليوم التالي صلي عليه صلاة الغائب في جميع
مدن المملكة العربية السعودية.
رحم
الله شيخنا رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح جناته، ومن عليه بمغفرته ورضوانه، وجزاه عما قدم للإسلام والمسلمين خيرا.

اللجنة العلمية
في مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

القدية

القدمة

نالج الجيني

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد خاتم النبيين، وإمام المتقين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.
أما بعد:

فإننا نستفتح هذا الكتاب، «أحكام من القرآن الكريم»، راجين الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يكون مباركا، نافعا لنا ولإخواننا المسلمين. وأحكام القرآن العظيم هي ما تتضمنه الآيات الكريمة من الفوائد الدينية، والدنيوية، والفردية، والاجتماعية. ولا ريب أن كل آية في كتاب الله تتضمن فوائد عظيمة يعرفها الإنسان بحسب علمه وفهمه، ولا ريب
كذلك أن الإنسان يؤتى العلم بحسب ما معه من الإيمان، والهدى، والتقى، كما قال الله ـ تعالى ـ: (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى »، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى واتنهم تقولهم » ، وقال - تعالى -: (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه، إيمينا فأما الذين ءامنوا فزادتهم إيمينا وهم يستبشرون »، وكلما كان الإنسان أشد إقبالا على القرآن الكريم، وإيمانا به، وحبا له، وتدبرا لآياته ـ كان به أفهم، وبها يدل عليه من

المقدمة

الفوائد العظيمة، والأحكام أوسع؛ ولهذا، فإني أحث إخواني المسلمين على تدبر كتاب الله ـ عز وجل ـ، وتفهم معانيه، والرجوع فيها لا يعرفونه إلى أهل العلم ليبينوه لهم، وإن لم يتيسر ذلك فإلى كتب التفسير الموثوق بها؛ كتفسير ابن كثير - رحمه الله ـ وتفسير شيخنا عبدالرحمن بن سعدي، وتفسير القرطبي، وتفسير الشوكاني، وغيرها من التفاسير المعروفة الموثوق بمؤلفيها في علمهم ودينهم؛ لأن الله - سبحانه وتعالى إنا أنزل القرآن لهذا، كما قال الله ـ تعالى ـ: «كتب أنزلته إليك مبرك ليدبروا ، اينته، وليتذكر أولوا الألبب؟

-

فالقرآن الكريم لم ينزل لمجرد التلاوة اللفظية، تلاوة الآيات الحرفية، بل نزل من أجل هذا ومن أجل ما هو أتم وأكمل، وهو تدبر الآيات وتفهم معانيها، ثم التذكر با فيها من القصص، والأخبار، والمواعظ، والأحكام، ولهذا كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لا يتجاوزون عشر آيات من القرآن حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، فتعلموا القرآن والعلم والعمل جميعا، وكثير من الناس اليوم لا يهتم بهذا الجانب، أعني جانب المعنى وجانب التدبر،

وما تتضمنه الآيات من الفوائد والأحكام، ولا يهتمون به.

وهذا قصور بلا شك من الإنسان، وتقصير منه. ومن الناس من يتجرأ ويتكلم في القرآن با لا يعلم فيكون شاهدا على الله ـ سبحانه

المقدمة

١٧

وتعالى ـ بما لا يعلم، وهذا محرم، قال ـ تعالى -: (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطنا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » ، فكل إنسان يتكلم في معنى آية من كتاب الله فهو شاهد على الله ـ تعالى ـ بأنه أراد بها كذا وكذا، وهذا أمر خطير؛ لأنه سيسأل عنه يوم القيامة فيقال: من الذي أعلمك بأن الله ـ تعالى ـ أراد كذا وكذا؟ ويكون قد قال في القرآن برأيه. ومن الناس من يعلم أن القرآن يدل على كذا وكذا، ولكن لديه عقيدة سابقة ونحلة يؤمها، ويقتدي بها وتقليده لمن يثق به، فتجده يحرف الكلم عن مواضعه، ويصرف آيات كتاب الله عز وجل إلى ما كان يعتقده وينتحله من هذا المذهب، وهذا أشد من الذي قبله؛ لأنه خالف الحق عن علم به، فالواجب على كل مسلم مؤمن أن يتقي الله عز وجل حين يتكلم في معنى آية من كلام الله، وأن يكون على حذر، فلا يقول إلا ما يعلم أنه هو المراد، أو يغلب على ظنه أنه هو المراد، وأما مع الشك فلا يجوز له أن يتكلم في شيء، ونحن في هذا الكتاب لن نتكلم كثيرا عن تفسير الآيات، وبيان وجوهها اللغوية من البلاغة والإعراب وغير ذلك؛ لأن هذا ـ والحمد الله ـ موجود في كثير من كتب المفسرين، ولكن يهمني أن أبين الفوائد التي تستنبط من هذه الآيات، وأبين وجه ذلك غالبا فيما يحتاج إلى بيان، وفيا خفيت دلالته؛ لأن الاستفادة من القرآن الكريم بهذه الطريقة يحصل بها علم كثير؛ ولهذا

١٨

المقدمة

سئل علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: هل عهد إليكم النبي ﷺ بشيء؟ فقال: «لا والذي برأ النسمة، وخلق الحبة إلا فها يؤتيه الله ـ تعالى ـ في كتابه وما في هذه الصحيفة؛ وهي فكاك الأسير»(١)... إلخ ما فيها، لكن المهم أنه قال: «إلا فها يؤتيه الله ـ تعالى ـ في كتابه»،

وهـذا يدل على أن الفهم في كتاب الله يحصل به خير كثير، وعلم غزير، ولكن يجب أن يكون الفهم مبنيا على هذا الأساس كما أشرنا إليه؛ لأن النـاس أربعة أقسام: فمنهم من عنده علم، ولكن ليس عنده فهم، ومن الناس من عنده فهم ولكن ليس عنده علم، ومن الناس من عنده علم وفهم، ومن الناس من لا علم عنده ولا فهم، والمراد مـن هـذا الكتـاب هـو استنباط الفوائد من كتاب الله ـ عز وجل ـ؛ ليحصل بذلك خير كثير. واعلم أن الدلالـة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: مطابقـة، وتضمن،
والتزام .

فدلالة اللفظ على جميع معناه دلالة مطابقة، ودلالته على جزء معناه دلالة تضمن، ودلالته على أمـر لازم خـارج دلالـة التـزام، ولنضرب لذلك مثلا معنويا ومثلا حسيا.

أما المثل المعنوي: فانظر إلى اسم من أسماء الله؛ وهو «الخالق» تجد
أنه دل على صفة الخلق وعلى الخالق نفسه، فدلالتـه عـلى الخلـق نـفـسه
(1) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، رقم (٣٠٤٧).

لمقدمـة

١٩

وعلى صفة الخلق دلالة مطابقة، ودلالته على الخالق نفسه وحده أو على صفة الخلق وحدها دلالة تضمن، ودلالته على العلـم والقـدرة دلالة التزام؛ لأن الخلق لا بد فيـه مـن عـلـم وقـدرة، فمـن لم يكـن عالما لا يستطيع أن يخلق، ومن لم يكن قادرا لا يستطيع أن يخلق.

أما المثال الحسي فكأن نقول: «هذا بيت» كلمة بيت تدل على جميع البيت، على كل ما يحيط به سور البيت دلالة مطابقة، وتـدل عـلى هـذه الغرفة، وغرفة ثانيـة، وغرفة ثالثة، وغرفـة رابعـة، وعـلى الحـوش (البراح)، وعلى المجلس، والصالة دلالة تضمن، وتـدل عـلى أن لهـذا البيت بانيا دلالة التزام، هذه الأنواع الثلاثة من الدلالة إذا استعملها الإنسان استعمالا جيدا حصل بها فوائد كثيرة، ولهذا تجد بعض أهـل العلم إذا تكلم عن آية، أو حديث؛ لاستنباط أحكامها استخرج منها أشياء كثيرة؛ لاستعماله هذه الأنواع الثلاثة من الدلالة، ومن الناس من يقصر فهمه عنها فلا يستطيع أن يستنبط إلا فوائد قليلـة، نسأل الله أن يوفقنا لخدمة كتابه، وأن يفقهنا في دلالاته واستنباط فوائده، وأن ينفـع
بهذا العمل؛ إنه سميع مجيب.

محمد بن صالح العثيمين

سـورة الفاتحة

٢١

(١) سورة الفاتحة
و بسم الله الرحمن الرحيم الله الحمد لله رب العلمين من الرحمن الرحيم و مثلك يوم الدين و إياك نعبد وإياك نستعين أهدنا الصراط المستقيم به صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) »

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنزل على رسوله محمد ﷺ هـذا الـقـرآن العظيم، وأنزل عليه سبعا من المثاني، كما قال ـ تعالى ـ: (ولقد ءاتينك سبعا من المثاني والقرءان العظيم » .

«والسبع المثاني» هي فاتحة الكتاب، وهـي أعـظـم سـورة في كتـاب الله، ولهذا فرضت قراءتها في الصلوات، فلا صـلاة لمن لم يقـرأ بفاتحة الكتاب، افتتحها الله - سبحانه ـ بالحمد والثناء والتمجيد، والحمد هـو وصف المحمود بالكمال، والثناء تكرار هذا الوصف، والتمجيـد ذكـر المجد والعظمة وقوة السلطان؛ كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «قال الله ـ تعـالى -: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي مـا سـأل، فـإذا قـال العبد: «الحمد لله رب العالمين ، قال الله ـ تعالى ـ: حمدني عبدي، وإذا قال: «الرّحمن الرّحيم»، قال الله - تعالى -: أثنى علي عبـدي، وإذا

أحكام من القرآن الكريم

قال: «مثلك يوم الدين ؟، قال: مجدني عبدي [(وقال مرة: فوض إلي عبدي)]، فإذا قال: « إياك نعبد وإياك نستعين»، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: «أهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين »، قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل»(1).

ففي قولـه ـ تعالى ـ: «الحمد لله رب العالمين دليـل عـلى كمال صفات الله ـ عز وجل ـ، وعلى كمال نعمه على عبـاده؛ لأن الحمـد لا يستحقه إلا من كان كاملا في وصفه، كاملا في فعله،

وأعني بالحمد الحمد المطلق الكامل، وإلا فقد يحمد الإنسان حمذا كاملا على فعل ناقص، أو على كمال ذاتي ناقص.

وفي قوله: «لله* دليل علي ثبوت ألوهية الله ـ عز وجل ـ، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ إله الحق، وما سواه فهو باطل، وفي الإتيان باللام دليل على استحقاق هذا الحمد لله وحده، لا يشاركه فيه أحد، فالحمد المطلق الكامل لا يكون إلا الله ـ عز وجل ـ؛ لأن كل ما سواه إنا يحمد على شيء معين حمدا يليق بهذا الشيء المعين، ويكافئ هذا الشيء المعين. وفي قوله: «رب العالمين * إثبات ربوبية الله ـ عز وجل - والرب هو الخالق المالك المدبر، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا الله،
(1) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة...، رقم (395).

سورة الفاتحة

ولا مدبر إلا الله ـ عز وجل -، وإضافة الخلق إلى غير الله، أو الملك إلى غيره، أو التدبير إلى غير الله ـ إضافة ناقصة، ناقصة في ذاتها، وناقصة في شمولها وعمومها، أما خلق الله، وملك الله، وتدبير الله، فهو كامل شامل عام، وفي الآية الكريمة إثبات رب ومربوب، مما يدل على التباين بين الخالق والمخلوق، ويكون فيه رد على قول أهل الإلحاد القائلين بوحدة الوجود.

وفي قوله: «رب العالمين ، دليل على أن العالمين كلهم يفتقرون إلى الله ـ عز وجل ـ؛ لأنه لا قيام للمربوب إلا بالرب، فالرب هو المربي القائم على غيره من كل وجه، وفي قوله: «رب العلمين - دليل على أن الملائكة، والرسل، والأولياء، لا حق لهم في التدبير والخلق، ويتفرع على ذلك أنه ليس لأحد أن يدعو هؤلاء، وأن يستغيث بهم، وأن يستنصر بهم؛ لأنهم مربوبون، هم بأنفسهم محتاجون إلى الرب، غير مستغنين عنه، فكيف يمكن أن يكونوا ملجأ للعباد وملاذا لهم يستعيذون بهم، ويستغيثون بهم، ويسترحمون بهم؟!

وفي قوله : (رب العلمين » دليل على أن العالم حادث، وهو كذلك؛ فإن العالم حادث بعد أن لم يكن، كما قال الله ـ تعالى ـ يعني نفسه:« هو الأول والأخر والظهر والباطن) [الحديد: 3]، قال النبي ﷺ في تفسيرها:«أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك

أحكام من القرآن الكريم

شيء»(1)

شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك

وفي قوله: (رب العالمين » دليل على أن هذا العالم علم وآية دالة على الله - عز وجل -، فإن ما في هذا الكون من الانتظام البديع والاطراد، وعدم التناقض، والإحكام، دليل على كمال موجده ـ عز وجل -، كما قال - تعالى -: (وفي الأرض عاينت للموقنين - وفي أنفسك أفلا تبصرون ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١]، وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ وفي الأرض قطع متجوزت وجئت من أعتب وزرع ونجيل صنوان وغير صنوان يشقى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لايت لقوم يعقلون ﴾ [الرعد: 4]، فهذا الكون المربوب
المخلوق علم على خالقه ـ عز وجل -، ودليل عليه، وآية من آياته. وفي قوله ـ تعالى ـ: « الرحمن الرحيم» إثبات صفة الرحمة، والرحمة صفة من صفات الله ـ عز وجل ـ الثابتة، قال ـ تعالى -: « وربك الغني ذو الرحمة» [الأنعام: 133]، وهي غير الإرادة، وغير الإحسان، بل هي صفة مستقلة ينشأ عنها إرادة الإحسان، وإيصال الإحسان إلى الخلق، ويصف الله نفسه بـ«الرحمن الرحيم»، بعد ذكر ربوبيته العامة، ففي ذلك دليل على أن ربوبيته ـ عز وجل - ربوبية رحمة وإحسان إلى الخلق،

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم، رقم (٢٧١٣).

سورة الفاتحة

٢٥

بجلب النعم، ودفع النقم، كما قال ـ تعالى ـ: (وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مشكم الضر فإليه تجترون ﴾ [النحل: 53].

وفي وصفه بـ«الرحمن الرحيم» دليل على سعة رحمته، وهذا مستفاد من «الرحمن» ؛ لأن «رحمان» على وزن «فعلان» ، وهذه الصيغة تدل على الامتلاء والسعة؛ كما يقولون: «غضبان»، و«ندمان»، وما أشبه ذلك للممتلئ غضبا وندما.

وفي قوله: « الرحيم» دليل على إيصاله هذه الرحمة إلى من شاء من عباده، ورحمة الله ـ عز وجل ـ عامة وخاصة، فأما العامة فهي لجميع الخلق، فكل الخلق مرحومون برحمة الله، ولولا رحمة الله ما أكلوا وما شربوا، وما اكتسوا، وما سكنوا، ولكن الله رحمهم؛ فهيأ لهم ما تقوم به أبدانهم من المعيشة الدنيوية، وأما رحمته الخاصة فهي خاصة بالمؤمنين الذين تستمر

رحمتهم في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا رحمهم الله ـ تعالى ـ بحصول ما تقوم به أبدانهم، وفي الآخرة رحمهم الله ـ تعالى ـ بحصول ما تقوم به أديانهم.

وفي قوله: « الرحمن الرحيم » رد على منكري الرحمة الذين يقولون: إن الرحمة ليست صفة حقيقية الله، بل هي إرادة الإحسان، أو الإحسان نفسه، وذلك لأن الأصل في الوصف الحقيقة، فإذا قيل «الرحمن»؛ أي ذو الرحمة، فالأصل أنه متصف بها حقيقة، ولا يلزم من

أحكام من القرآن الكريم

اتصاف الله ـ تعالى ـ بالرحمة أن يكون مماثلا للمخلوق، ولا يلزم من ذلك أن يكون ناقصا؛ لأن النقص الذي يمكن أن يكون في صفة الرحمة ـ إن كان ـ إنها ذلك في رحمة المخلوق التي قد لا تكون عن حكمة، فتكون ناقصة.

وقوله ـ تعالى ـ: (مثلك يوم الدين) .
يوم الدين هو يوم القيامة، والدين هنا بمعنى الجزاء، وكما يكون الدين بمعنى الجزاء يكون أيضا بمعنى العمل، فمن مجيئه بمعنى العمل، قوله ـ تعالى ـ: « ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [المائدة: 3]، ومن مجيئه بمعنى الجزاء هذه الآية؛ فقوله: (ملك يوم الدين » ؛ أي مالك يوم الجزاء الذي يدان فيه كل عامل بما عمل، وأضاف الله ـ تعالى ـ الملك إلى يوم الدين، وإن كان ـ سبحانه وتعالى ـ مالكا للدنيا والآخرة؛ لأن ملكيته تظهر جلية واضحة في ذلك اليوم، ويعترف بها كل مخلوق، كما قال الله ـ تعالى ـ: (لينذر يوم التلاق يوم هم برزون لا تخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم يله الواحد القهارات اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب» لغافر: 15 - ١٧]؛ ولهذا قال ـ تعالى : (مالك يوم الدين) .
ع
وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الملك في ذلك اليوم، يوم

سورة الفاتحة

القيامة، لا يكون لأحد لا جزئيا ولا غير جزئي، لا حقيقة ولا مجازا؛ لأن الناس كلهم يوم القيامة

يحشرون حفاة عراة غرلاً). حفاة: ليس في رجل أحدهم نعال، وعراة: ليس عليهم ثياب، وغرلاً: ليسوا مختونين، لا فرق في ذلك بين السيد والعبد، ولا بين الراعي والرعية، ولا بين الأب والابن، فكل الناس على حد سواء، وفي قوله: « ملك يوم الدين » ـ أيضا ـ دليل على أن الله - عز وجل ـ في ذلك اليوم تام الملك والسلطان، كما تدل عليه القراءة الثانية الصحيحة السبعية، وهي ملك يوم الدين ، فهي قراءة صحيحة سبعية، فينبغي للإنسان أن يقرأ بها أحيانا، لكن لا بحضور العامة؛ لئلا يشوش عليهم؛ فإن الملك له من السلطة والنفوذ ما ليس للالك، لكن الملك أحيانا لا يملك فيكون ملكاً قاصر الملك، فباجتماع القراءتين يكون الكمال، أن الله ـ تعالى ـ «ملك» و«مالك»: «ملك»: أي ذو سلطان، وقهر، وعظمة، وكلمة نافذة، و«مالك»: ذو تصرف كامل في ملكوته ـ عز وجل -. وفي قوله ـ تعالى ـ: (مثلك يوم الدين » إثبات اليوم الآخر، وهو حق، والإيمان به أحد أركان الإيمان الستة، فاليوم الآخر حق ثابت كا أن الدنيا الآن حق لا ينكره أحد، فكذلك اليوم الآخر المستقبل الموعود

(1) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلا»، رقم (٣٣٤٩)؛ ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم (٢٨٥٩).

حق ثابت ولا بد منه، كما قال ـ تعالى ـ: (أفحسبتم أنما خلقتكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ [المؤمنون: 115]، فلو كان الناس خلقوا لهذه الدنيا يعيشون فيها ما يعيشون على ما فيها من التعب، والنصب، واللأواء، والعدوان، والظلم، والصلاح، والفساد، لو كانوا خلقوا لهذا فقط لكان ذلك نقصا بالغا في حق الله ـ عز وجل ـ؛ لأنه سفه وباطل، ولعب، وقد أشار الله ـ تعالى ـ إلى هذا المعنى في قوله : (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لعبين ﴾ [الدخان: ٣٨]، وقوله (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما بطلا »[ص: ٢٧]، وقول واتحسب الإنسين أن يترك سدى ﴾ [القيامة: 36]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه لا بد من لقاء ومجازاة على هذه الأعمال التي عملناها في هذه الدنيا، ولا يمكن أن يقوم الإنسان بشرع الله حق القيام، إلا إذا كان مؤمنا بأن هناك يوما يلاقي فيه الإنسان ربه فيحاسبه على عمله؛ قال ـ تعالى -: (يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كذجا فملاقيه [الانشقاق: 6].

ـه

وفي قوله ـ تعالى ـ: (ملك يوم الدين » ـ أيضا ـ إثبات الجزاء والحساب، وأن الإنسان يحاسب على عمله، ويجازى عليه، وهو حق ثابت، ولكنه ـ أي الحساب ـ على وجهين:
الوجه الأول:حساب المؤمن، وهذا لا يناقش الحساب، وإنما يخلو

سورة الفاتحة

٢٩

به الرب ـ عز وجل ـ فيكلمه وحده، ويقرره بذنوبه، حتى يقر بها، ثم يقول الله له: «قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم» (1) ، فالحمد الله على ستره، ما أكثر الذنوب التي يفعلها العبد إما باطنة في قلبه، وإما ظاهرة في جوارحه، لكن لا يعلم بها الناس، ومع هذا فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يمن عليه ويستره، ويقول الله ـ عز وجل ـ في حسابه
له يوم القيامة: (قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم».

أما الوجه الثاني من الحساب: فهو حساب الخزي والعار ـ والعياذ بالله ـ، وهو حساب الكافر؛ فإنه يجزى بأعماله يوم القيامة، وينادى على رءوس الأشـــــهاد: «هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على
ج
الظلمين ﴾ [هود: ١٨].
وفي قوله ـ تعالى ـ: «ملك يوم الدين * ترغيب وترهيب ترغيب في العمل الصالح؛ لأن الإنسان إذا أيقن بأنه سيحاسب على عمله، ويثاب عليه حرص على الأعمال الصالحة، واجتهد، ورغب فيها؛ وترهيب لأنه إذا علم بأنه سيجازي على عمله ويعاقب على سيئته، أو على الأصح يستحق العقاب على سيئته فإنه يخشى من ذلك، ويتجنب الأعال السيئة، خوفا من يوم الدين الذي يجازى فيه

(1) أخرجه البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب قول الله تعالى: (ألا لعنة الله على الظلمين»، رقم (٢٤٤١)؛ ومسلم: كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم (٢٧٦٨).

أحكام من القرآن الكريم

العاملون بأعالهم؛ كا قيل: «كا تدين تدان»،فعلينا أن نأخذ لهذا اليوم عدته، وأن نعمل صالحا

يقربنا إلى الله ـ عز وجل ـ، ويسعدنا في ذلك
اليوم.
وفي قوله ـ تعالى ـ: «مثلك يوم الدين * دليل على كمال حكمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ؛ حيث جعل لهذا الخلق مآلا يدانون فيه ويجازون بأعالهم؛ لأنه لولا ذلك لكان الأمر عبثا كما سبق أن ذكرنا. وفي قوله ـ تعالى ـ: *ملك يوم الدين * إشارة إلى كمال العدل؛ لأن الدين هو المجازاة، مجازاة العامل بقدر ما عمل، ولكن ـ مع هذا ـ نقول: إن مجازاة الله - سبحانه وتعالى ـ لعباده دائرة بين العدل والفضل، فهي بالنسبة للكافر عدل محض ليس فيه ظلم، فالكافر عقوبته الخلود في النار أبد الآبدين، لا يخرج منها أبدا، ولا تخبو النار التي يعذب فيها أبدا؛ لقول الله ـ تعالى ـ في ثلاث آيات من القرآن: «خلدين فيها أبدا، فالآية الأولى في سورة النساء، قال ـ تعالى ـ: « إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا ت إلا طريق جهنم خلدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ [النساء: ١٦٨ـ 169]، وتأبيد الخلود يدل على تأبيد المكان الذي فيه الخلود، والآية الثانية في سورة الأحزاب؛ قال الله ـ تعالى ـ: « إن الله لعن الكفرين وأعد لهم سعيرا و خلدين فيها أبدا لا تجدون وليا ولا نصيرا ﴾ [الأحزاب: ٦٤، ٦٥]، والآية

الثالثة في سورة الجن؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿ ومن يعص الله ورسوله، فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا ﴾ [الجن: ٢٣]، ولا قول لأحد بعد أن صرح الله ـ عز وجل ـ بتأبيد الخلود في نار جهنم، لا قول لأحد بعد ذلك، وكل قول يخالف هذا فهو مردود على قائله؛ لأن القائل بالتأبيد هو العالم بما سيكون، وهو الخالق ـ عز وجل ـ، فمجازاة الله الكافر بالخلود في النار أبد الآبدين هو عدل، وليس فيها ظلم.

قد يقول قائل: إنك إذا قست مدة بقاء الإنسان في الحياة الدنيا فإنها لن تكون شيئا بالنسبة إلى التأبيد الأبدي، فيكون تأبيده على أكثر من بقائه في الدنيا شيئا من الظلم.

والجواب على هذا: ألا ظلم في ذلك:
أولا: لأن هذا الإنسان استغرق جميع حياته في الكفر، فيكون من العدل أن يستغرق جميع بقائه في الآخرة في العذاب.

وثانيا: أن هذا الإنسان الكافر قد أرسلت إليه الرسل، وأنزلت معهم الكتب، وبينوا للناس الطريق، ورغبوا الناس في الحق، وحذروهم من الباطل، ولم يبق للناس حجة على الله بعد الرسل، فيكون هو الذي اختار لنفسه هذا المقام الأبدي، لأنه يعلم أن الكافر سيبقى في هذا المكان الأبدي، فحينئذ يكون هو الظالم لنفسه؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [البقرة: 57؛ والأعراف: 160].

أحكام من القرآن الكريم

أما الجزاء الفضلي، الذي هو فضل الله ـ عز وجل ـ؛ فهو جزاء المؤمن، فالمؤمن يجازي بالنسبة للحسنة الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وأما بالنسبة للسيئات، فإنه تحت المشيئة، إن شاء الله ـ تعالى ـ عذبه، وإن شاء ـ تعالى ـ غفر له؛ لقوله ـ تعالى ـ: ه إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء:116]، إذن فجزاء الله ـ تعالى ـ للمؤمن من نوع الجزاء الفضلي، وأما الظلم فهو ممتنع في حق الله ـ عز وجل ـ، فهو لا يمكن أن يظلم أحدا فيزيد في سيئاته، أو ينقص من حسناته.

ثم قال الله ـ عز وجل ـ: «إياك نعبد وإياك نستعين . العبادة: هي التذلل لله ـ عز وجل ـ؛ محبة وتعظيها بامتثال أمره، واجتناب نهيه، والاستعانة: طلب العون. والإنسان مفتقر إلى الله ـ عز وجل ـ في العبادة والاستعانة؛ أما افتقاره إليه في العبادة؛ فلأن العبادة هي
مادة سعادته، وأما الاستعانة؛ فلأن الله إذا لم يعنه وكله إلى نفسه، فيكله إلى ضعف، وعجز، وعورة، ولا قيام للإنسان إلا بالله ـ عز وجل ؛ ففي إياك نعبد * إخلاص العبادة الله ـ عز وجل ـ؛ ووجه ذلك تقديم المعمول «إياك» ولو جاءت على الترتيب لقال: «نعبدك»، فلما قدم المعمول؛ دل على الإخلاص، وتخصيص العبادة الله وحده؛

سورة الفاتحة

٣٣

لأن من القواعد المقررة في اللغة العربية أن تقديم المعمول يفيد الحصر؛ أي: الاختصاص، ويكون قوله: «إياك نعبده متضمنا لمعنى قول الإنسان: «لا إله إلا الله».

وفي قوله: «إياك نعبد» دليل على اتباع الشريعة؛ شريعة الرسل - عليهم الصلاة والسلام ؛ لأن العبادة لا تتم إلا بأمرين: الإخلاص لله، والموافقة لشريعة الله؛ وذلك باتباع الرسل؛

ولهذا نقول: لا إشراك ولا ارتداد؛ فالإشراك ينافي الإخلاص، والارتداد ينافي الاتباع؛ فالعبادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ إخلاص واتباع، لا شرك ولا ارتداد. وفي قوله ـ تعالى ـ: «إياك نعبد» دليل على أن العبادة إذا أشرك بها مع الله أحد؛ لم تكن عبادة الله، ولا تقبل من العابد؛ ويؤيد ذلك ما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري؛ تركته وشركه»(١).

وفي قوله ـ تعالى ـ: * وإياك نستعين * دليل على إفراد الله ـ تعالى بالاستعانة؛ ووجهه تقديم المعمول؛ لأن تقديم المعمول يفيد ـ على ما تقتضيه اللغة العربية - الحصر؛ أي: الاختصاص، فلا استعانة للإنسان إلا بالله ـ عز وجل ـ، ولا يستطيع الإنسان أن يقوم بشيء إلا بمعونة

(١) رواه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم (٢٩٨٥).

الله له، وفي قوله: ﴿ وإياك نستعين * دليل على أنه ينبغي للإنسان حال العبادة أن يستحضر أنه مستعين بالله ـ سبحانه وتعالى ؛ لتتيسر له العبادة، ولتكون عبادة؛ لكونها متبعا فيها الرسول ﷺ، مخلصا لله فيها؛ ولكونه مستعينا بالله عليها؛ ولهذا نقول: ينبغي للعابد أن يستحضر ثلاثة أشياء: الإخلاص، والمتابعة، والاستعانة؛ فالإخلاص
والاستعانة الله وحده، والمتابعة لرسول الله ﷺ؛ ليوصل إلى الله؛ أما الإخلاص لله: فأن يقصد الإنسان بعبادته وجه الله والدار الآخرة. وأما الاستعانة: فأن يشعر بأن الله هو الذي أعانه على هذا، ويسر له أسباب القيام به، ولولا أنه أعانه ما حصل. وأما المتابعة: فأن يستحضر كأنها الرسول ﷺ أمامه، وهو خلفه يقتدي به.

فهذه ثلاثة أمور ينبغي للعابد أن يكون مستحضرا لها؛ ليكون ذلك
أعون له في إتمام العبادة.
فوائد الآية الكريمة: «إياك نعبد وإياك نستعين *:

1ـ أن الإنسان دائر بين أمرين: بين عبادة الله، واستعانة النفس؛ ولهذا قال الله ـ تعالى ـ في الحديث القدسي عن هذه الآية: «هذا بيني وبين عبدي»(1)؛ فالعبادة الله والمعونة للعبد.

(١) هو جزء من حديث سبق تخريجه ص(١٢).

٢-

٢ - وفي هـذه الآيـة دليـل عـلى تخصيص الله بالاستعانة؛ أي: أن الإنسان لا يستعين استعانة مطلقة إلا بالله؛ لأن الاستعانة المقيـدة هـذه جائزة حتى بغير الله فيها يقدر عليه المخلوق؛ ولهذا قال الرسول ـ عليـه الصلاة والسلام -:«... وتعين الرجل في دابته فتحمله عليهـا، أو ترفع له عليها متاعه صدقة...»(١)، فأثبت عون الإنسان لأخيه؛ فالاستعانة بمخلوق فيها يقدر عليه لا بأس بها، ولا تنافي العبادة ولا الإخلاص، لكنها ـ في الحقيقة ـ استعانة مقيدة وليست عامة شاملة؛ فهـي اسـتعانة قاصرة ـ أيضا ـ؛ لأنها على عمل معين يقدر عليه المستعان به؛ وعلى هذا فالاستعانة بأصحاب القبور على قضاء الحوائج محرمـة، بـل هـي مـن الشرك؛ وذلك لأن أصحاب القبور لا يستطيعون أن يعينوا أحدا وهـم أموات؛ فهم بأنفسهم لا يستطيعون أن يعملوا لأنفسهم شيئا، فكيـف يعملون لغيرهم؟! فإذا أردت أن تستعين في أمر لا يقدر عليه إلا الله، فلا تستعن إلا بالله ـ عز وجل.

3ـ وفي قوله: «إياك نعبد وإياك نستعين » دليل على أنه ينبغي للمتكلم أن يأتي بالأشياء التي تثير فطنة المخاطب وتنبهه؛ وذلك لأن الآيات الأولى الثلاث كلها بصيغة الغائب، أو كلهـا في سياق الغيبة؛ حيث قال تعالى: «الحمد لله رب العلمين في الرحمن الرحيم ملك

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر، رقم (٢٨٩١)؛ ومسلم: كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم (١٠٠٩).

يوم الدين ، ولكـن في الآيـة الرابعـة قـال: «ملك يوم الدين فهـذا التفات من الغيبة إلى الخطاب، والالتفات ـ بلا شك ـ يوجب استيقاظ المخاطب؛ لأن الكلام إذا كان على نسق واحد انساب الإنسان وغفـل، ولم يحصل له انتباه، فإذا تغير الأسلوب؛ فإن الذهن ينصدم بهذا

التغير، ثم ينتبه فكأنه صوت منبه، ينبه الإنسان على ما سيخاطب به؛ ولهذا قال: «إياك نعبد ولم يقل: «إياه تعبد» ، وفي هذه الآية دليل مبني على الالتفات الذي ذكرناه ـ وهو الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ـ؛ وهو دليل على أهمية العبادة والاستعانة، وإخلاصها لله، كأن هذا الذي أثنيت عليه ـ وهو الله ـ عز وجل ـ فيما سبق من الآيات الثلاث، كأنه ـ لقوة إيمانك به ـ أمامك، تخاطبه، ولا شك أن الإنسان إذا قرأها في الصلاة؛ فإنه يستقبل الله ـ عز وجل ، والله ـ تعالى ـ يكون قبل وجهه، فيقول: «إياك نعبده ، ولكن ليعلم أن الله ـ تعالى ـ قبل وجهه، وإن كان هو في السماء فوق العرش، ولا تناقض في ذلك؛ لأن الله - سبحانه وتعالى ـ لا يقاس بخلقه؛ « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [الشورى: ١١].

٤ـ وفي قوله ـ تعالى ـ: « إياك نعبد وإياك نستعين * دليل على اجتماع الأمة؛ فإنه لم يقل: إياك أعبد، وإياك أستعين، وأنه ينبغي للأمة أن تتفق وتجتمع على العبادة والاستعانة بالله ـ عز وجل ـ وقد يؤخذ منها إثبات علم الله - سبحانه وتعالى ؛ فإن هذه السورة فرضت قراءتها

سورة الفاتحة

٣٧

في جميع الصلوات، ومنها الصلاة الجهرية التي يجتمع فيها الإمام والمأموم، ولو جاءت بصيغة الإفراد «إياك أعبد وإياك أستعين»؛ لكان في ذلك إخلال بالنسبة للمأمومين؛ لأنه سيكون ـ في هذه الحالة - الإمام وحده هو الذي يقول: «إياك أعبد وإياك أستعين»، فمن المعلوم أن الذين وراءه لن ينالهم نصيب من هذا لو كانت الآية بصيغة الإفراد، أما قوله: * إياك نعبد * فإن المأموم يشعر بأنه هو والإمام على حد سواء في عبادة الله ـ تعالى ـ والاستعانة به.

هـ وفي الآية دليل على أن الإنسان ينبغي أن يستعين بالله في كل شيء حتى في الأمور الصغيرة؛ كالذهاب، والمجيء، والأكل والشرب، واللباس، فينبغي للإنسان أن يستعين بالله في كل شيء؛ حتى يكون بذلك مدركا لحاجته، متعبدا لربه ـ عز وجل ؛ لأن الاستعانة من العبادة، وإذا استعان الإنسان بربه؛ يسّر له الأمر وسهله عليه؛ ولهذا يؤمر الإنسان إذا حلف على شيء مستقبل أن يقول: إن شاء الله؛ حتى يشعر باستعانته بربه، فإنه إذا قال: إن شاء الله؛ كان ذلك عونا على قضاء حاجته؛ وفي الصحيحين في قصة سليمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال:« لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن جميعا؛ فلم

تحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل. وايم الذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله؛ لجاهدوا في

سبيل الله فرسانا أجمعون»، وهنا لم يقل سليمان ـ عليه السّلام ـ: إن شاء الله؛ اعتمادا على ما في قلبه من العزيمة، فلم تحمل إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل؛ وذلك ليتبين له ولغيره أن الأمر بيد الله؛ قال النبي : «لو قال: إن شاء الله؛ لم يحنث وكان دركا لحاجته» (١) .

*

أحكام من القرآن الكريم

*

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين *.

هذه الآيات الثلاث كلها للإنسان؛ فسورة الفاتحة سبع آيات: ثلاث منها الله خالصة، وثلاث منها للإنسان خالصة، وآية وسط بينها كا جاء في الحديث الصحيح: «قال الله ـ تعالى ـ: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: «الحمد لله رب العلمين ؛ قال الله ـ تعالى ـ: حمدني عبدي، وإذا قال العبد: «الرحمن الرحيم ؛ قال الله ـ تعالى ـ: أثنى علي عبدي، وإذا قال: * ملك يوم الدين؟ قال: تجدني عبدي ـ وقال مرة: فوض إلي عبدي ـ فإذا قال: وإياك نعبد وإياك نستعين ؛ قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: «أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت

(١) رواه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ رقم: (6639)، واللفظ له؛ ومسلم: كتاب الأيمان، باب الاستثناء، رقم (١٦٥٤).

سورة الفاتحة

عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ؛ قال هذا لبدي ولعبدي ما سأل» (١).

وقوله تعالى: «أهدنا الصراط المستقيم ؛ الهداية بمعنى: الدلالة والتوفيق، فإن كانت معداة بإلى فهي للدلالة، وإن كانت متعدية بنفسها فهي للتوفيق والدلالة، وهنا الهداية متعدية بنفسها؛ فيكون المراد بها الدلالة والتوفيق؛ أي: أن الله ـ تعالى ـ يرزقك علها تهتدي به إلى شريعة الله ـ عز وجل -، ويوفقك لهذه الشريعة حتى تقوم بها. وقوله: «الصراط المستقيم» ؛ الصراط: هو الطريق الواسع،
والمستقيم: الذي ليس فيه اعوجاج، ولا ارتفاع، ولا انحدار. فوائد وأحكام:
1ـ في قوله - تعالى -: «أهدنا الصراط المستقيم » دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يدعو الله ـ عز وجل ـ بهذا الدعاء: أن يهديه صراطه
المستقيم.

٢ـ وفي قوله: «أهدنا الصراط المستقيم » ـ أيضا ـ دليل على أن الإنسان مفتقر إلى الله ـ عز وجل ـ في الهداية؛ ويتفرع عن ذلك أنه يجب على الإنسان أن يترك الإعجاب بنفسه، والقول: اهتديت؛ لأنني

(ا) سبق تخريجه ص(١٢).

أعرف الحق، وهذا مني؛ فيمن باهتدائه على الله ـ عز وجل -، وقد أنكر الله ـ عز وجل ـ على الأعراب الذي يمنون على رسول الله أن أسلموا؛ فقال: « يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليك أن هذنكر للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ [الحجرات: ١٧]؛
فالإنسان لو لم يهده الله لم يهتد؛ قال الله ـ تعالى -: « من يهد الله فهو المهنده [الكهف: 17]، وقال - تعالى -: ﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد * [الرعد: 33]. فإن قال قائل: إن قلتم هكذا فتحتم الأبواب للمتهاونين والكسالى
الذين إذا دعوا إلى الحق قالوا: الهداية بيد الله، واحتجوا بذلك. فالجواب أن نقول: إن الله ـ تعالى ـ لما قال: «أهدنا الصراط المستقيمة ، وأرشدنا إلى أن ندعوه هذا الدعاء لم يرد منا أن نتوقف عن أسباب الهداية، بل نحن نسأل الله الهداية، ونسعى في أسبابها؛ ولهذا قلنا: إن الهداية هداية دلالة وهداية توفيق؛ هداية الدلالة التي هي العلم، هل يمكن أن تحصل للإنسان بلا تعب على تحصيله؟ لو قال الإنسان: اللهم ارزقني مالا، هل معنى ذلك أن

يبقى في بيته ولا يتحرك؟ بل عليه أن يتحرك ويسأل أسباب الرزق، كذلك الهداية إذا سألت الله إياها فتسعى في أسبابها، لو سألت الله ـ تعالى ـ أن يرزقك أولادا، هل تبقى لا تتحرك لا تتزوج؟ لا؛ لابد أن تتزوج حتى ترزق بالأولاد، فسؤال الشيء من الله لا يستلزم أن يبقى الإنسان جامدا، لا

سورة الفاتحة

41

ج
يتحرك ولا يسعى إلى الأسباب التي توصل إلى هذا الشيء؛ إذن فلا حجة لهذا الذي يحتج بهذه الآية وأشباهها على فسقه وفجوره، ثم إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ إذا حرم الإنسان الهداية؛ فلعلمه ـ سبحانه وتعالى ـ أنه ليس أهلا لها؛ لأن الله - عز وجل ـ يقول: «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفسقين﴾ [الصف: 5]، كما أن الله ـ عز وجل ـ جعل الهدى في قلوب أهل الهداية؛ لعلمه أنهم أهل لذلك؛ كا قال الله ـ تعالى ـ: «الله أعلم حيث تجعل رسالته ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. 3ـ ومن الفوائد ـ أيضا ـ التي تستفاد من الآية الكريمة: « أهدنا الصراط المستقيم » : أن فيها دليلا على أن دين الإسلام دين واسع شامل يتسع لكل أحد؛ فالصراط ـ في اللغة العربية ـ هو الطريق الواسع الذي يتسع لجميع السالكين.

4ـ وفي الآية دليل على عموم الإسلام وشموله؛ لأنه شامل لكل ما يتعلق بالإنسان في معاشه ومعاده؛ ولهذا كان منظما للعباد فيما يتعلق بعبادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وفيما يتعلق بالمعاملة فيا بينهم؛ ويتفرع من
هذه الفائدة: الرد على من زعم أن الدين الإسلامي إنها ينظم العمل فيما يتعلق بين العبد وبين ربه، ويرى أن أمور الدنيا لا علاقة لها بدين الله - عز وجل ـ، وهذا خطأ عظيم؛ فإن الدين الإسلامي نظم كل شيء، وعلم النبي ﷺ أمته كل شيء تحتاج إليه؛ قال أبو ذر ـ رضي الله

٤٢

أحكام من القرآن الكريم

عنه ـ: «توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر

منه عليا»).
ويدل على شمول الشرع ودين الإسلام لكل شيء أن أطول آية في كتاب الله آية الدين، وكلها تتعلق بمعاملة الخلق بعضهم مع بعض؛ فالدين الإسلامي كما نظم المعاملة بين العبد وبين ربه، نظم المعاملة بين العبد وبين غيره من عباد الله، بل نظم علاقة العبد الإنسان بينه وبين البهيم غير الناطق؛ فقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «عذبت امرأة في هرة ربطتها حتى ماتت؛ فدخلت فيها النار؛ لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»، وثبت عنه ﷺ أنه قال: «إن امرأة بغيا" رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر، قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له بموتها؛ فغفر لها»، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ غفر لهذه المرأة رغم أنها بغي زانية،

(٥)

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٢/ ١٥٥) وذكره الدارقطني في «العلل» (٢٩٠/٦). (٢) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب رقم (٥٤)، حديث رقم (٣٤٨٢) واللفظ له؛ ومسلم: كتاب الحيوان، باب تحريم قتل الهرة، رقم (٢٢٤٢).
(3) أي: زانية.
(٤) يطيف ببئر: يدور حولها..
(5) أدلع لسانه: أخرجه؛ لشدة العطش.
(6) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب رقم (٥٤)، حديث رقم (٣٤٦٧)؛ ومسلم: كتاب الحيوان، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، رقم (٢٢٤٥).

سورة الفاتحة

43

وهذا يدل على أن الإسلام له تنظيم في كل ما يتعلق بالعبد. فإن قال قائل: أليس النبي ﷺ حين قدم المدينة، ورآهم وهم يؤبرون النخل ـ أي: يلقحونها بوضع طلح الفحال في ثمر النخل - قال «لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا»، فتركوه فنفضت أو فنقصت، قال: فذكروا ذلك له فقال : إنها أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم؛ فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنها أنا بشر ، وهذا يدل على أن أمر الدنيا مفوض للعباد؟
والجواب على ذلك: أن هذا الذي أشار إليه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا يتعلق بالأحكام، وإنها يتعلق بالصناعة والحرف، ومعلوم أن الإنسان في حرفته قد يكون أعلم من عالم

بشرع الله وأدرى بها؛ فالنجار ـ مثلا ـ يعرف كيف يصرف الخشبة حتى يجعل منها بابا والصانع يعرف كيف يصنع الحديد فيجعله طائرات وسيارات أكثر مما يعلمه العالم الشرعي في هذا، هذا هو الذي أراده النبي ـ عليه الصلاة والسلام.

هـ وفي قوله: « أهدنا الصراط المستقيم دليل على أن هناك صراطا غير مستقيم ـ وهو كذلك ـ، بل هناك سبل كثيرة غير مستقيمة؛

(ا) رواه مسلم: كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره ﷺ من معاش الدنيا على سبيل الرأي، رقم (٢٣٦٢).

كا قال الله ـ تعالى ـ: « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ﴾ [الأنعام: 153]، فهناك طرق كثيرة للباطل متنوعة من أفعال، وأقوال، وانتهاكات، وأما الحق فهو طريق واحد يوصل إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ وإلى دار كرامته.

6 - وفي قوله: « أهدنا الصراط المستقيم » دليل على أن دين الإسلام كامل لا اعوجاج فيه ولا انحراف، وأن من ظن أن فيه قصورا فهو القاصر، ولا أحد يظن أن في دين الإسلام قصورا إلا أن يكون قاصرا في فهمه أو قليلا في علمه، أو سيئا في قصده، أما حسن النية الذي آتاه الله علما وفهما فإنه يدري ويعلم علم اليقين أن دين الإسلام ليس فيه قصور، وهو مستقيم لا اعوجاج فيه، وأن الناس لو طبقوه؛ لكانوا على الاستقامة، والسداد، والصواب، ولما ضاقت عليهم السبل، ولكن قاصر الفهم، أو ناقص العلم، أو سيئ القصد هو الذي يظن أن في الإسلام قصورا؛ فيذهب يأتي بالقشور من هنا وهناك؛ ليطبقها في بلاد الإسلام.

7- وفي قوله ـ تعالى ـ: « أهدنا الصراط المستقيم دليل على كمال حكمة الله ـ عز وجل ـ وكال رحمته؛ حيث جعل الصراط الموصل إليه صراطا مستقيما لا متاهة فيه ولا ضلال، ونحن نعلم أن الصراط المستقيم يوصل إلى المقصود بسرعة بخلاف الطريق المعوج،

الذي ينحرف بالإنسان يمينا وشالا؛ فإنه ـ على تقدير إيصاله إلى المطلوب ـ يكون شاقا وبعيدا؛ بسبب التعرجات، أو الطلوع، أو النزول، بل هذا صراط مستقيم.

8 – وفي الآية الكريمة دليل على أنه لا هادي إلا الله ـ عز وجل ؛ فهو الذي يلجأ إليه في طلب الهداية لا إلى غيره.

فإن قال قائل: أليس قد قال الله ـ تعالى ـ عن نبيه : (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ﴿ [الشورى: ٥٢]؟

فالجواب: بلى، قد قال الله ذلك، وهو حق، لكن الهداية إلى الصراط المستقيم التي أثبتها الله لرسوله هي هداية الدلالة، وكل إنسان عنده علم بالشرع؛ فإنه يهدي الناس بهذا العلم إلى الشرع، فالدلالة على الخير ليست هي التوفيق إلى الخير؛ أما الدلالة التامة التي فيها الهداية والتوفيق فهي الله ـ عز وجل ـ؛ ولهذا قال الله ـ تعالى ـ لنبيه : (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين؟
ج
[القصص: ٥٦].

ثم قال ـ تعالى ـ: « صراط الذين أنعمت عليهم »: هم الذين أتم الله عليهم النعمة بتوفيقهم لشريعته، وهم أربعة

أصناف، ذكرهم الله في قوله: «ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا في ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماك (النساء: ١٩، ٧٠ .
وغير المغضوب عليهم ولا الضالين»؛ يعني: صراط غير المغضوب عليهم؛ والمغضوب

عليهم هم الذين علموا الحق واستكبروا عن اتباعه، و«الضالون» الذين جهلوا الحق؛ فأخطئوا في العمل، وأول من يدخل في «المغضوب عليهم» اليهود، وأول من يدخل في «الضالين» هم النصارى.

فوائد وأحكام الآية الكريمة:
1 - وفي الآية الكريمة (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » دليل على أن الناس انقسموا إلى ثلاثة أقسام: قسم أنعم الله عليهم؛ فهدوا إلى الحق عليها وعملا، وقسم غضب الله عليهم؛ فهدوا إلى الحق علها لكن لم يوفقوا للعمل به، بل استكبروا عنه وهم المغضوب عليهم، وقسم ثالث لم يهدوا إلى ا- ـ ق لا علها ولا عملا؛ فتعبدوا الله ـ تعالى ـ عن جهل؛ فضلوا وهم الضالون، فمن المغضوب عليهم اليهود، ومن الضانين النصارى.

٢ـ وفي قوله ـ تعالى ـ: «صراط الذين أنعمت عليهم دليل على أنه ينبغي أن نبحث عن سيرة هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من هم؟

سورة الفاتحة

٤٧

وكيف كان حالهم؟ حتى نهتدي لطريقتهم؛ ويتفرع على ذلك: الحث على معرفة سيرة النبي ﷺ؛ لأنه خير من أنعم الله عليه، وبهذه المناسبة فإنني أحث إخواني المسلمين على قراءة السيرة النبوية من الكتب الموثوق بها؛ مثل«البداية والنهاية»، لابن كثير ـ رحمه الله ـ؛ فإنه كتاب جيد جدا في بابه.

3ـ وفي قوله: «صراط الذين أنعمت عليهم دليل على أن نعمة الدين أكبر من نعمة الدنيا؛ فإن في المغضوب عليهم والضالين من أنعم الله عليه نعا عظيمة في الدنيا، لكن هذه النعم ليست بشيء بالإضافة إلى نعم الدين؛ ولهذا قال ـ تعالى ـ: «صراط الذين أنعمت عليهم ، ولما دخل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على النبي ذات يوم، فوجده ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد تأثر جنبه من الاضطجاع على سريره الذي عنده؛ بكى ـ رضي الله عنه ـ فقال له النبي ﷺ : «ما يبكيك يا عمر؟» قال: أنت نبي الله، وكسرى وقيصر على أسرة الذهب؟ قال:«يا عمر، أما ترضى أن لهم الدنيا ولنا الآخرة؟ »؛ وعلى هذا نقول: إن النعمة الحقيقية الكبيرة العظيمة هي نعمة الله ـ تعالى ـ على عباده بدينه، ولا يخفى على الجميع أن الله ـ تعالى ـ

(1) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب « تبتغي مرضات أزوجك »، رقم (٤٩١٣)؛ ومسلم: كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء، رقم (١٤٧٩).

نـــال: « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [المائدة: 3]، فجعل إكمال الدين من تمام النعمة ـ وهو
كذلك.

٤ـ وفي قوله ـ تعالى ـ: «صراط الذين أنعمت عليهم دليل على أن من سلك هذا الصراط فهو في نعمة، في سرور، في انشراح؛ ويدل لذلك قوله ـ تعالى ـ: « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [النحـــل: ٩٧] فمن كان من هؤلاء كان في نعمة وإن كان في ضيق من العيش، باعتبار نعمة الجسد؛ لأن النعمة بالدين تقتضي أن يكون الإنسان دائها منشرح الصدر، مطمئن القلب؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن!إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر ؛ فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر ؛ فكان خيرا له»، وقال بعض «لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه

بالسيوف».
هـ وفي قوله: «صراط الذين أنعمت عليهم أسند النعمة الله وحده، وقال في الآخرين: « غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فأتى

(١) رواه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، رقم (٢٩٩٩)

بالغضب على وجه الإبهام؛ للدلالة على أن الله - سبحانه وتعالى ـ له المنة الكبرى على هؤلاء

الذين أنعم الله عليهم، وأنه لا مئة لأحد عليهم بما أعطاهم الله - سبحانه وتعالى ؛ ويتفرع على ذلك: أن يحمد الإنسان
ربه على كل عمل صالح يفعله؛ لأن ذلك بمعونة الله وبنعمته. 6 ـ وفي قول الله ـ تعالى ـ: « غير المغضوب عليهم ولا الضالين * دليل على عظم ذنب من أتي العلم ولم يعمل به؛ لأنه يستحق الغضب؛ حيث إن الله ـ تعالى ـ أنعم عليه بوجود السبب الذي به يهتدي، ولكنه استنكف واستكبر، وفي هذه الآية ـ أيضا ـ دليل على أنه ينبغي لنا أن نعرف سيرة هؤلاء المغضوب عليهم، ولماذا غضب الله عليهم؟ وبـاذا أخـذهم؟ كـا قـال الله ـ تعالى ـ: «لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألبب﴾ [يوسف: ١١١].

ـ وفي قوله: « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » دليل على أنه يجب على المسلم الذي هداه الله إلى الصراط المستقيم أن يتبرأ من طريقة هؤلاء؛ فكما سأل الله أن يعصمه من طريقهم فليتبرأ منه، وليبعد عنهم، وليتجنب ما هم عليه من الضلال، بل إن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال:«من تشبه بقوم؛ فهو منهم»؛ فيجب علينا أن نتجنب

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٥٠)؛ وأبو داود: كتاب الحام، باب في لبس الشهرة، رقم (4031)؛ وأورده السيوطي في الجامع الصغير (٢/ ٥٢٢)، ورمز له بإشارة الحسن.